الفصل السادس

المقاومة العراقية البطلة

* النسيج الوطني للعراق
* إرادة عربي بطل
* الفلوجه
* النجف الأشرف

obeikandl.com

obeikandl.com

* مقاومة الشعب العراقي

تنطق بسيف صلاح الدين، واليرموك تحيا من جديد، يقدمون أرواحهم رخيصة فداء للوطن الغالي، ويمزجون ترابه بدمائهم الذكية، ويصطادون الأباتشي الأمريكية بالبنادق العتيقة، إنه عراك مستمر، إنها قوة الأرض، إنها قوة العروبة، قوة الشعب الأبي الذي يرفض الذل والهوان، شعبٌ مكافح زُرعت العروبة في دمائه، فكان مثالاً للتضحية والفداء، إنها مستمرة كانتفاضة أهلنا في فلسطين المحتلة والجولان الحبيب في وجه الغزاة الصهاينة الطامعين بخيرات بلادنا والمحتلين لأرضنا، ومستمدة من قوة المقاومة في جنوب لبنان الشقيق في دحر العدوان الإسرائيلي، حيث ألحق بضع مئات من المقاتلين المُعممين من رجال (حزب الله) هزيمة عسكرية، هزيمة المعنويات الإسرائيلية، وكانت النتيجة أن خرجت قوات الاحتلال الإسرائيلي من الجنوب اللبناني وهي تجر أذيال الخيبة والذل.

إن العراق بلدٌ شاسعٌ ومترامي الأطراف يحتاج إلى قوات هائلة للسيطرة عليه، ومن شأن العصابات والمقاومة أن تبقى هذه القوات في حالة استنفار كامل ينهكها مادياً ومعنوياً، وبالطريقة نفسها خرج الاستعمار مطروداً من إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية علماً أن التفوق العسكري لن يؤمن لها الإقامة الأمنية والعسكرية، والحرب طويلة سقطت بغداد أم لم تسقط... بقي صدام في الحكم أم لم يبق لأن الأمر يتعلق بالإحساس الوطني لا بالنظام وهذا الإحساس هو القوة المولدة لإرادة الصمود.

والبداية في تكوينها كانت مبكرة للمقاومة دليل على أن حركتها أذهلت العالم وتتكون من جزء من الجيش النظامي وجزء مقاوم من الشعب، وبالتالي أحدث ذلك نوعاً من اندماج مبكر للمقاومة حتى أخذت شكلها الطبيعي، وقد خُيل للجنود الأمريكيين عندما قدموا إلى العراق أنهم في رحلة صيد، وسيستقبلون بالورود والرياحين، ومن هنا كانت وطأة المقاومة العراقية عليهم كبيرة، لأن المقاومة العراقية بالنسبة للجنود الأمريكيين تمثل الكارثة غير المتوقعة، ومن هنا كانت عدم قدرتهم على الاحتمال بينما المواطن والمقاوم العراقي لم يُفاجأ بالصدمة لأنه يعرف عدوه الذي يستعمل أسلحة دمار فتاكة، فهو أمام كارثة متوقعة لكنه

تحملها بصورة أفضل.

إن المقاومة طريق النجاة لكل الشعوب المقهورة والواقعة تحت نير الاحتلال، فقد جاءت المقاومة العراقية في اللحظة نفسها التي وطأت فيها قوات الاحتلال أرض العراق، وهذا حدث فريد من نوعه في تاريخ مقاومة الشعوب والتحرر، رغم تعدد الرايات والفصائل والهويات، فإن الشعب العربي الإسلامي ما زال يراهن على هذه المقاومة ليس لهزيمة القوات الأمريكية وإنهاء الاحتلال فحسب، بل لكسر الغطرسة الأمريكية، وإنهاء الحالة الإمبراطورية خاصة بعد أحداث النجف الأشرف وانتهاك حرمات ومقدسات العراقيين، والمقاومة العراقية مستمرة حتى تحقيق هدفها بإنهاء الاحتلال، والشعب العراقي مستمر بكافة فصائله وفئاته الوطنية في أعمال الجهاد والمقاومة حتى تحرير أرضه وإنهاء الاحتلال، وإن مستقبل العراق رهن لوحدة المقاومة العراقية، واستنادها إلى دعم عربي وإسلامي واسع فما من مقاومة انتصرت إلا واستندت إلى دولة خارجية، فانتصار فيتنام التي استندت إلى الاتحاد السوفيتي والصين معاً، فالعراق تحتاج للمحيط العربي والإسلامي لمواجهة المشروع الأمريكي والصهيوني وإزاحة الاحتلال من أراضيها.

والمقاومة لحظة العدوان ليست موحدة وإنما ردة فعل طبيعي لكل الشعب العراقي، وهي بدأت في أم قصر والبصرة جنوب العراق ثم توالت في كل المدن والطوائف، والمقاومة موحدة في هدفها، لكنها مختلفة في الوسائل والأساليب، وحققت نجاحات من خلال الضغط على قوات التحالف وما تم من سحب للقوات الإسبانية والفلبينية، والمقاومة مستمرة حتى تحرير العراق وانتخاب حكومة ديموقراطية شرعية وبذلك يكون العراق نموذجاً للتحرر العربي.

ويتمتع النسيج الاجتماعي بخصوصية عضوية متماسكة يصعب تفكيكها، ودرجة محسوسة من الوعي الوطني والقومي، لكن التفجيرات العمياء الأمريكية تسخرها في خدمة مصالحها و "**الحرب على الإرهاب**"، وتسعى لإغراق البلاد بالفوضى المسلحة والاقتتال الطائفي والعراقي في مناخ يضاعف الشكوك حول الجهة المسؤولة عن هذه التفجيرات، بينما العالم مشغول بتوجيه الانتقادات للانفراد الأمريكي، وتهميش دور الأمم المتحدة. وتشير المعلومات الأمريكية المتداولة حول

عمليات المقاومة الوطنية العراقية إلى أن في بلاد الرافدين تيارات جماهيرية مقاتلة تخوض نضالاً للتحرر الوطني في ظل السيطرة الكاملة لقوات الاحتلال على جميع موارد البلاد، وأمام الرفض الأمريكي المتجدد للالتزام بموعد محدد للجلاء التام عن أرض العراق.

إن قوة المقاومة الوطنية العراقية ووزنها الحاسم شعبياً أمر تبينه الوقائع بأنها تمكنت خلال الأشهر السابقة من منع القوات الأمريكية البالغ عددها/١٤٠/ ألف جندي من أحدث وأقوى الجيوش بالعالم من الدخول أو السيطرة على بعض المدن والقرى، بينما يسيطر المقاومون على عدة مدن وقرى وهم يهاجمون يومياً مراكز قيادة قوات الاحتلال (المنطقة الخضراء).

وذكرت وكالة "رويترز" إن المقاومة الوطنية العراقية شنت خلال شهر تموز /٢٠٠٤م/، /١٤١٥/ هجوماً بقذائف الهاون وبتفجير عبوات ناسفة ضد دوريات قوات الاحتلال، وتشير صحيفة "الليموند" الفرنسية عن جموع المقاتلين في صفوف جيش المهدي، وبحشود الفقراء وهم حفاة، الذين يعلنون استعدادهم للموت في سبيل طرد الاحتلال من بلادهم، وتؤكد قوة التيار الصدري المتعاظمة في صفوف العراقيين والعاصمة والجنوب، ويتزايد التلاحم الجماهيري في النجف الأشرف كما في الفلوجة والعديد من المدن والقرى ويظهر الغليان الثوري في صفوف الشعب العراقي، بينما تتوهم بعض القوى (الحكومة الانتقالية) أن الجلاء والسيادة قابلان للتحقيق بالوسائل السلمية ومسايرة المحتلين الذين يعملون ليلاً ونهاراً لنشر الفوضى وتأجيل الانتخابات أملاً في تسويغ بقائهم بالقرب من آبار النفط التي طالما سال لعاب آل بوش وأعوانهم اللاهثين في خدمة إسرائيل. وفي الوقت الذي نرى فيه الجنود الأمريكيين خائفين، نرى رجال المقاومة يبدون معنويات عالية، وهم مبتهجون رغم قلة الأسلحة والأسلحة البسيطة التي معهم، وبالرغم من تقرير الجيش الأمريكي المنشور في ٢٠٠٤/٤/٢٦م بانخفاض الروح المعنوية إلى ٥٢٪ في المقابل كان هناك ارتفاع في الروح المعنوية لدى رجال المقاومة العراقية، والفرق أن الجندي الأمريكي المدجج بكلفة تسليح قدرت بـ /٢٧/ ألف دولار للجندي الواحد بين الأشعة تحت الحمراء والاتصال مع القيادة والخوذة الخاصة، ومجموعة الدرع الذي يلبسه وهو في مواجهة رجل يحمل سلاحاً

خفيفاً ويرتدي "دشداشة"، فالمقارنة ظالمة، وإن المقاوم العراقي يستسهل الموت في الثقافة العربية الإسلامية عندما تهان الكرامات، وعندما تمس المقدسات، فإن الموت يصبح سهلاً، وأحياناً أُمنية، وخاصة عندما تستوفي المسألة شروط الاستشهاد.

إن صمود الشعب العراقي وتقارب المقاومة الشعبية نحو التنظيم يزيد الأمريكين شراسة، وتنفيذاً للاستراتيجية الأمريكية وقوة القرار القطب الواحد! تطبق سياسة القوة أولاً ثم الكماشة ثانياً، لكن المفاجأة الكبرى كانت بعدم مغادرة العراقيين أو نزوحهم إلى دول مجاورة بل على العكس تماماً كان النزوح من الخارج إلى الداخل إلى أرض الوطن، وهنا تستميل القوات الغازية الشعب العراقي المحاصر بالأغذية والماء والأدوية، ومع الحرب الطويلة تظهر ممانعة عراقية، وهذا يؤدي بأمريكا إلى فقدان السيطرة، وفقدان الصبر، **وهنا تظهر حالتان:**

الأولى: الرأي العام العالمي. **والثانية: تصعيد الحرب.**

وتظهر مؤشرات لتحويل الرأي العالمي في الحرب على العراق أقصر من حرب فيتنام، وأطول من حرب أفغانستان.

إذا المقاومة العراقية تُهزم سياسة الترويع والصدمة الأمريكية، **والأمثلة كثيرة:**

* الفلاح العربي... إرادة عربي بطل

ظهر كنسرٍ جائعٍ ينقض على فريسته عندما رأى الخطر قد داهمه، **وهو يقول لعدوه:** أنا العربي المكافح المدافع الحامي، أنا الحصن المنيع، في يوم قال أحدهم إني سأغزو العراق، **فخالفه آخر يقول:** أنا المتآمر المشارك لهذه الحرب، لم يكترث هذا الإنسان بالقول، وجاء الغزو، فانفجر غضباً وخرج من منزله وهو ينادي المقاومة **ويصرخ بأعلى صوته:** يسقط العدو الأمريكي...يسقط العدو البريطاني... فأنا أستطيع أن أحول الهواء في بلادي إلى سموم تقضي عليك أيها الغازي، وأحوّل الحجر إلى قذيفة تمحوك عن وجه الأرض، وأطلق رصاصة في قلبك، في نقطة ضعفك أيها الجشع الغادر، يا من تهوى القتال والتدمير، فها هو بطلنا المزارع البسيط، الشجاع الأبي، مشمراً عن سواعده التي تعشق الأرض، فيسقيها بعرقه ويرويها بدمه، يلتف

ببزة عسكرية، وحزام فلاح مكافح وفي زنده بندقية بسيطة، الذي أنقذ قبيلته بأطفالها ونسائها وشيوخها من نيران طائرة الأباتشي أحدث التقنيات الأمريكية المعادية، عندما صوب بندقيته البدائية بعين ثاقبة فأسقطها وأسر طياريها.

هذا الفلاح العراقي البطل الذي لا يرضى لوطنه الذل والهوان، الذي يعرف معنى الحق والحرية، فعلينا ألا نكون أقل من هذا الشيخ البطل حباً للأرض والكرامة، وعلينا أن نساند أخوتنا في العراق الشقيق، وفلسطين الحبيبة، والجولان الصامدة، ونقدم لهم كل ما يحتاجون إليه مادياً ومعنوياً، وفي هذا النصر سوف يكون حليف المؤمنين الشرفاء، والفشل والخيبة سوف تكون نصيب الطغاة الظَلَمة سفاحين الدماء.

إنه فلاح من بلادي، وصورة الإنسان العربي ذو الشخصية المُشبعة بروح العروبة، والمتشبثة بالأرض والكرامة، والمسلحة بالعزيمة والقوة والإرادة، إنها قوة الإيمان بالله، وقوة التعلق بأرض الأجداد، إنها قوة التمسك بالقومية العربية.

❖❖ وسام إلى الفلاح البطل

وسام من شابة في موريتانيا تعطي الصائغ/٢٥/ مثقالاً من الذهب لتصنع سيفاً "وسام" للفلاح العربي العراقي يضعه على صدره رمزاً للسواعد التي ترفض الذل، والذي أسقط ببندقيته القديمة وإرادته الصامدة مروحية الأباتشي الأمريكية، فتحية من قلوبنا للفلاح العربي العراقي.

* الفلوجة

الفلوجة هذه المدينة البطلة التي قاومت الاحتلال، وهو يعتبر حق الشعوب المشروع حيث آلت إلى الدمار مع رائحة تعفن الجثث التي لم تجد من يواريها إلى التراب، والأطفال الذين لم يجدوا لا الماء والدواء ولا الغذاء، وبقية باقية من أرواح تصعد إلى السماء لجرحى بقوا أياماً ينزفون، حيث لا تحترم ذمة ولا دين ولا حقوق لإنسان ولا لحيوان ولا لشجر.

إن أهالي الفلوجة قاوموا قوات الاحتلال الغازية في نيسان ٢٠٠٤م ومنعوها من دخول مدينتهم ولقنوها درساً قاسياً لن تنساه تلك الطغنة النجلاء في كبرياء القوات

obeikandi.com

الأمريكية دعتهم إلى خلق شماعة أطلقوا عليها "جماعة أبو مصعب الزرقاوي" لدرء نزف جرح كبريائه وكرامته وليبرمج قصف المدينة الحرة وأهلها الآمنين، وقبل حلول عيد الفطر السعيد الذي لم يكن سعيداً على أهل العراق بأيام قليلة قدّمت قوات الاحتلال هدية العيد للشعب العراقي وأطفاله، حيث قامت باقتحام مؤسسات ومنازل وشوارع وأشجار وكل من في الفلوجة من أطفال ونساء وشيوخ ورجال، وأبشع ما في الأمر إجهاز جنود الاحتلال على الجرحى وإطلاق العيارات النارية عليهم وهم أحياء دليل قاطع على حقدهم الكبير الذي يضمرونه في صدورهم للفلوجة وأهلها، وأبسط توصيف لممارسات الاحتلال الأمريكي أنها جرائم حرب، لا تقبل بها الشرائع السماوية ولا المجتمع الإنساني ولا الشرعية الدولية.

وقد أرادت القوات الأمريكية باقتحام الفلوجة وتدميرها وتشريد أهلها أن توصل رسالة إلى الشعب العراقي مفادها أن المصير الذي آلت إليه الفلوجة وأهلها سيكون مصير أية مدينة عراقية أخرى تظهر فيها مقاومة، وأنتم عليكم أيها العراقيون أن تستسلموا وتباركوا للقوات الأمريكية ومخططاتها على أرض العراق.

إنها مخططات استعمارية واضحة وادعاءات مضلله وكاذبة فضحتها ممارسات قوات الاحتلال الأمريكي على الأرض العراقية، والغريب في الأمر أن يقبل العراقي ويشارك في ضرب العراقي وقتله وتدمير بيته مستسلماً لحجج الأمريكيين وألاعيبهم وخططهم المكشوفة، حماك الله يا عراق الحضارة والإنسانية وإنه ومهما طال ليلك لا بد أن يبزغ فجر تحريرك فما زال فيك الكثير من أبنائك المخلصين.

* النجف الأشرف

عندما اندلعت الحرب العراقية الإيرانية كان مقتدى الصدر قد ولد لتوه في كنف عائلة دينية ورعة في النجف، وحينما اندلعت انتفاضة ربيع ١٩٩١م بعد هزيمة القوات العراقية في الكويت كان في الحادية عشرة من عمره، وحين اغتيل والده محمد باقر الذي أعدمه صدام ١٩٩٩م واثنين من أشقائه، كان في التاسعة عشر، لكنه مع ذلك استطاع أن يحتفظ بالسيطرة على مكانة أبيه ودخل مبكراً ساحة الصراع مع السيستاني، والحكيم، بشأن المرجعية الشيعية، ومجلس الثورة

الإسلامي، وإن الأمريكيين لم يعرفوا بهذه الحركة التي تحصل في النسيج العراقي لتغيير الحكم، أو قيام حكم مواز للحكم الانتقالي، ففوجئ الجميع ببروز الشاب مقتدى الصدر على الساحة السياسية العراقية بعدما وضعت الحرب أوزارها.

أما إيران فاعتبرت هذه الحركة انشقاقاً بين الشيعة قبل الحرب، واعتمدوا في ثقلهم على المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بزعامة الراحل آية الله محمد باقر الحكيم.

ويعتمد مقتدى الصدر في طروحاته على لغة ثورية مشبعة بالمفاهيم الدينية، ويتميز بنظرته الثاقبة، وأنه يتميز بالتشدد على عائلته في تسلم المرجعية، وأنه يغلي غيظاً على الأمريكيين نظراً لدعمهم للمجلس الأعلى ومرجعية السيستاني، وتجاهل حركته، وإن إعلانه عن قيام حكومة مستقلة في جنوب العراق تعبير عن رغبته في الانتقام من الأمريكيين لمواصلتهم تجاهل حركته.

وتشير التصريحات والعلاقات إلى توافق بين مقتدى الصدر وزعيم حزب الله في لبنان السيد حسن نصر الله، وعلى الرغم أن درجة الصلات بين الحركتين لا تزال غير واضحة، ويؤكد أكثر من مصدر أن الإعجاب بين الصدر ونصر الله، بل يشير إلى شراكة الرجلين في توجهاتهما الإسلامية الممزوجة بروح القومية العربية، وإلى إعجاب الصدر بسوريا ودورها في المحيط الإسلامي والعربي، وأهمية التعاون معها لحل مشكلة العراق، إضافة إلى قناعة الرجلين بأن الخطر الأكبر على العرب والإسلام لا ينبع من الحكام المحليين والأنظمة السياسية الحاكمة، بل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل.

ويناضل الصدر باللجوء إلى القوات المسلحة عبر تشكيله جيش المهدي، وأثبت أنه قادر على رص الصفوف لمواجهة الاحتلال، فالعراق الذي يصوّره الأمريكيون آمناً، تلتهمه النيران من كل الجهات، وفي الوسط عبر الأحزاب والحركات الدينية المتطرفة وبقايا نظام صدام، وفي الجنوب تتعاظم قوة الصدر واتساع نطاق جيشه، وفي الشمال عبر التدخل التركي المرتقب، ومعارضة الأكراد الشديدة على الرغم من مباركة الأمريكيين.

وبعد الاحتلال أرسلت إيران في طلب الصدر، **وفي لقائه مرشد الثورة الإسلامية آية الله خامنئي الذي وجه له كلاماً مفاده:**

"أنت تمثل حسن نصر الله العراق، أنت ستخرج الأمريكيين من العراق كما أخرج نصر الله الإسرائيليين من لبنان".

هكذا يتضح أن الزعيم الشاب مقتدى الصدر يشعل ناراً مدمرة جديدة في جنوب العراق ضد الأمريكيين، هذا الرجل الذي نهض من رماد أبيه ينتقم من الولايات المتحدة الأمريكية بأيدٍ عراقية.

ويتمتع الصدر بدهاءٍ سياسي غير قليل، يدعو إلى رحيل فوري لقوات الاحتلال عن العراق، ويطالب بجدولة الانسحاب الأمريكي وفق سقف زمني قصير الأجل، ويحض الأمريكيين على ضبط تصرفاتهم وعدم المساس بكرامة العراقيين وتقاليدهم، ويدعو إلى تعريب وتعريق المرجعية الشيعية العلمية الناطقة وتخليصها من هيئة الحوزة العلمية الصامته، لكنه يسارع إلى إنشاء مليشيات مسلحة، ويوزع السلاح على الشعب للسيطرة على المراقد وأماكن العبادة في النجف وكربلاء تحضيراً للمواجهة الشاملة[٢٦].

ويهب جيش المهدي لمواجهة قوات الاحتلال التي حاصرت مدينة النجف الأشرف، ويشترك معها باشتباكات مسلحة، فيربك تقدم القوات الغازية، فتقوم هذه القوات بتطويق النجف لإجراء مفاوضات وتوقيع هدنة، لكنها خدعتهم وجرت جحافلها وقصفتهم بالطائرات وقذائف الدبابات، وفي شوارع المدينة تستمر المقاومة عنفاً، وتزداد الاشتباكات ضراوة، فيما ينتقل السيستاني إلى الخارج للمعالجة، فتزداد الضغوط على الصدر لنزع السلاح من الجيش والخروج من النجف، ذلك بعد وقوع كثير من الشهداء العراقيين، وسقوط عدد أكبر من القتلى الأمريكيين وخسائر في الآليات، فينتقل الصدر إلى العاصمة بغداد بعد تسليم السلاح الفردي لجيش المهدي حفاظاً على سلامتهم ودرءاً لزهق مزيد من الأرواح، وتلاحقهم قوات الاحتلال جنوب بغداد للنيل منهم، لكن الحس الوطني والموقف الثابت مستمر مع استمرار المقاومة على درب النصر والتحرير.